THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

سبق علم الله بالمصير المحتوم
او
القضاء والقدر

بقلم الأستاذ

فرنسيس العنز

« الطبعة الأولى »

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة شير الفجالة بمصر

١٩٣٣

سبق علم الله بالمصير المحتوم
او
القضاء والقدر

بقلم الأستاذ

فريد نسيس العنبر

« الطبعة الأولى »

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة سمير بالفجالة بمصر

١٩٣٣

BT
810
.I87

كلمة الافتتاح

منذ شهرٍ مضى ، دُعيت لحضور مجلسٍ أدبيٍ دينيّ ، ضم عدداً كبيراً من صفوة أبناء الفراعنة الأمجاد ، وأحفاد أساطين المسيحية الأعلام .

وَلمَّا كانت الدعوة قد صدرت الىَّ من خادم الإنسانية والدين والأدب صديقى المحترم جفرى افندى عصفور رئيس جمعية ثمرة التوفيق — التى عمَّت أياديها البيضاء ، طائفة البائسين والفقراء ، والتى اشتهرت بتقديرها للأدب والأدباء ، ولمن أخلص فى العمل من رجال الدين الأجلاء — لَبَّيْتُ الدعوة شاكراً ممتناً .

تجاذبنا أطراف الحديث — والحديث ذو شجون — وأخذنا نتنقّل من موضوعاتٍ أدبية الى موضوعاتٍ دينية ، حتى انتهينا الى تلك القضية ، التى هى موضوع هذه النشرة الأرثوذكسية .

فبعد حوارٍ وجدال، طلب الكلُّ إليَّ أن أُبدى رأيي فيها بما يَحْضُرُني: فشكرت لحضراتهم حسنَ ظنهم بي، ثم أجبت سُؤلهم بكلمةٍ موجزةٍ اقتضاها المقام.

غير أن المناقشة الحادّة، التي دارت بيننا حول هذه القضية الهامةَ في ذلك اليوم — الذي عَدَدْته من أسعد أيام حياتي، لِمَا رأيت فيه من اهتمام أرقى طبقات الشعب القبطي العريق بالوقوف على أخص المسائل الأرثوذكسية — قد نبهتني إلى وجوب قتلها بحثاً، ونشرها طبعاً، تعميماً لحقيقةٍ ثابتة، طالما حامت حولها الشُّبُهات، ولا سيما في هذا العصر الذي باض الإلحاد فيه وأفرخ، حتى أصبح التضافر على استئصال شأفته، والقضاء عليه قضاءً مبرماً، واجباً مقدساً.

وها أنا أزُف كلمتي في ذلك الموضوع الخطير الى حضرات القراء الكرام، آملاً أن أكون قد وُفِّقت في ما كتبت: وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب ؟

فرنسيس العنر

« لم يَهْلِك . . إلاَّ ابن الهـــلاك »

(إنجيل يوحنا ١٧ : ١٢ - ١٣)

« كان خيراً لذلك الانسان لو لم يُولَدْ »

(متى ٢٦ : ٢٤ ومرقس ١٤ : ٢١)

يقول الذين لم يتعمقوا فى درس فلسفة الكتاب المقدس ، إنَّ فى هاتين الآيتين وفى ما ماثلهما من الآيات الكتابية ، الدليلَ القاطع على سَبْق تحديد الحوادث تحديداً مطلقاً ، وتعيين نصيب الانسان فى الحياة الآتية ، بحكم الهي لا طاقةَ له بنقضه ، ولا قدرة له على دَرْئِهِ .

يقولون ذلك ، وهم لا يعلمون أنَّ ما يقولونه إنما يهدم التعليم الانجيليَّ من أساسه ، وينافى الحرية الانسانية المُعتَقَة منافاةً تامّة ، ويُعدِم الأفعال البشرية كلَّ استحقاقٍ لها .

***

إنى لا أجهل ما فى هذا البحث من خطورة ، ولا ما فى ثناياه من وَعْثٍ ووُعورة ، كما إنى لا أجهل أنه من

العبث أن يحاول العقلُ البشرىّ الضعيف إدراكَ الالهيّات التي عَجزَ القديس بولس عن إدراكها، رغم صعوده الى السماء الثالثة (كورنثس الثانية ١٢ : ١—٦) : لأنّ عقلَ الإنسان محدود ، وحكمةَ الله الفائقة ، وعنايته بخليقته الناطقة ، لا تقفان عند حدّ : وهيهات لِمَا كان محدوداً ، أن يُدْرِكَ غير المحدود . . .

غير أنّ قول الذّهبىّ الفم[1] : «إننا وإن كنا نَعْجِزُ عن حَلّ هذه القضية ، فاننا نخالف الشريعة اذا تغاضينا عن طلب حلّها» [2] ، يدفعنى الى خوض غمار هذا البحث

---

(١) أحد فحول بطاركة القسطنطينية ، وأقطاب البيعة المسيحية . أنزلت الفصاحة على قلمه ولسانه ، وتدفقت الدّرر الالهية من فيه الطاهر ، فأطلقت الكنيسة عليه لقب « كريزوستوموس » (أى الذهبى الفم) . له الخطب الرنانة والميامر التى عطر أريجها الشرق والغرب ، وكفى بقداسه — الذى اختصت به الكنيسة اليونانية شقيقة الكنيسة القبطية — دليلاً على ما أوتي من حكمة إلهية ومواهب سماوية. فاضت روحه الطاهرة سنة ٤٠٧م. بين عويل الأرض وتهليل السّماء ..

(٢) راجع تفسيره الفصل التاسع من رسالة القديس بولس الى أهل رومية .

ودرس هذه القضية، على ضوء الأسفار الإلهية، عَلّي أُوَفَّق بمشيئة الرَّحمن، الىَ تقريبها الى الأذهان.

***

قال الكتاب الطاهر عن يهوذا إنه ابن الهلاك، وإنه كان خيراً له لو لم يولد، فرأى فى ذلك القول من يأخذون بحرفية الآيات دون رُوحها، أن الله الذى يُحيط بكل شىء علماً، إنما أراد لذلك التلميذ التَّاعس الهلاكَ الأبدى . . ! وبذلك المنطق المُعْوَجّ — الذى يبنى الارادة على العلم — نسبوا الظلم الى الحق سبحانه وهم لا يشعرون ! والإناءُ المصطفى — الذى اصطفاه فادينا وهو جالسٌ عن يمين العظمة، ليحمل اسمه أمام الأمم وأمام الملوك وأمام بنى إسرائيل [١] — يقول لهم بطريق الاستفهام الانكارىّ: « أَلعلَّ عند الله ظلماً ؟ حاشا »[٢]

فالمسيح لم يُسلَّمْ الى أعدائه من يد يهوذا لسَبْق علم المسيح بذلك التسليم، بل بما إنَّ يهوذا كان مزمعاً أن يسلّم

(١) راجع سفر أعمال الرسل ٤ : ١٥

(٢) راجع رسالة القديس بولس الى أهل رومية ٩ : ١١

معلمه ، سَبَقَ ذلك المعلم فَعَلِمَ بأمر تسليمه من يد ذلك التلميذ الخائن «الذى أكل خبزه ثم رفع عليه عَقِبَهُ» (١)

فليس سَبْقُ العلم سبباً للشيء المزمع وقوعُهُ ، وإنما الشيء المزمع وقوعه هو السبب لسبق العلم : فاذا ما قضى الانسان أيامه فى ما يُرضى الله ، كان من أبناء الخلاص ، واذا ما قضاها فى ما يرضى الشيطان ، كان من أبناء الهلاك : فالله يَسْبِقُ فيعلم بمصير الانسان خيراً كان أو شراً ، لكنّ سبق علمه تعالى لا أثر له فى خيرٍ ولا فى شرّ .

إنّ سبق علم الله بما سيكون ، إنما هو من العقائد الأرثوذكسية المقرَّرة ، وهذا هو بولس هامة رسل الأمم (٢) يقول : « ان الذين سَبَقَ (الله) فَعَرَفهم ، سبق فعيَّن أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه ، ليكونَ بِكْراً بين

---

(١) راجع مزمور ٤١ : ٩ وإنجيل يوحنا ١٣ : ١٨

(٢) قال بولس الرسول : إنّ للكنيسة أعمدةً ثلاثة ، وجعل أول هذه الأعمدة يعقوب أسقف المدينة المقدسة (أورشليم) وأخو الرب ، والثانى كيفا (بطرس) ، والثالث يوحنا حبيب المسيح (غلاطية ٢ : ٩)

إخوةٍ كثيرين ، والذين سبق فعيّنهم ، إياهم دعا ، والذين دعاهم ، إياهم برّر ، والذين برّرهم ، إياهم مجّد »
(رومية ٨ : ٢٩ — ٣١)

وقد أجمعت الكنيسة شرقاً وغرباً على تلقيب بطرس وبولس بها متى الرسول — بالرغم من أنّ بطرس أول المنتخبين للرسالة (متى ٩ : ٢) وبولس آخرهم — ، مقتفيةً فى ذلك أثر لسان العطر حيث قال : « ان نعمة الله التى عملت فى بطرس لرسالة الختان (أى المختونين وهم اليهود) ، قد عملت فىّ (أنا بولس) لرسالة الأمم (أى القُلف وهم غير اليهود) (غلاطية ٢ : ١ - ٩)

فالخراف الضالة من بيت اسرائيل التى لم يرسل رب المجد الاّ اليها (متى ٥ : ٢٤) ، قد أقيم على رعايتها بطرس : أمّا الخراف الأخر (الأممية) التى ليست من ذلك القطيع (الاسرائيلى) ، والتى قال السيد « انه ينبغي لى أن آتي بها أيضاً ، وأن تسمع صوتى ، لتكون الرعية واحدة لراع واحد » (يوحنا ١٠ : ١٦) — فقد أقام المسيح على رعايتها بولس حيث قال له : « انطلق فانى مرسلك بعيداً الى الأمم »
(أعمال ٢٢ : ١)

وقد نبّه بولس الرسول الكنائس الأممية — ككنيسة أنطاكية ورومية والاسكندرية — الى أنها « طُعّمت » فى كنيسة أورشليم

ولكنَّ سَبْقَ العلم بأمرٍ من الأمور شيء ، وإرادةَ ذلك الأمر شيءٌ آخر . فاذا ما عَرف الله ما سيلقاه أحد الناس من سوء المصير ، فهل يكون معنى هذا أنه تعالى يُريد هلاك ذلك الإنسان ؟ ؟ ؟ كلا ثم كلا .

وهذا هو بولس هامة رسل الأمم يقول بصريح العبارة : « إن الله مخلصَنا يريد أنَّ جميع الناس يخْلُصون ، والى كلمة الحق يُقبلون » (١)

ولم يكن بطرس هامة رسل الختان — فى تأييد هذه العقيدة الأرثوذكسية — بأقلَّ صراحةً من زميله بولس حيث قال : « ان الرب لا يتباطأ فى موعده كما يظن قومٌ ، وإنما هو يُمْهلنا ، لأنه لا يشاء أن يهلِكَ أحدٌ ، بل أن يُقبل الكلُّ الى التّوبة » (٢)

« أمّ الكنائس » (مزمور ٨٧ : ٥ ، وخولاجي الأقباط الكاثوليك طبعة رومية صفحة ٢٧٣) ، وحذّر « الفرع » من الترفّع على « الأصل » (رومية ١١ : ١٦ — ١٧) ، إذ لا يترفع على أبويه الاّ ابن نغل . . .

(١) راجع رسالته الأولى الى تيموثاوس ٢ : ٤

(٢) راجع رسالته الثانية ٣ : ٩

وإنما بنى هامتا الرسل هذا التعليم القويم على قوله له المجد : « لم آتِ لأدينَ العالم بل لأخلّص العالم » (يوحنا ١٢ : ٤٧)

« إن لم تتوبوا، فجميعكم تهلكون » (لوقا ١٣ : ٣ و ٥)

« إبن الانسان لم يأت ليُهلِكَ أنفس الناس بل ليخلّصها » (لوقا ٩ :٥٦)

« هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكيلا يهلك كلُّ من يُؤمنُ به ، بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنَّ الله لم يُرسل ابنه الى العالم ليَدينَ العالم ، بل ليَخْلُصَ به العالم » (يوحنا ٣ : ١٦ — ١٧)

« إنَّ أباكم الذى فى السماوات يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويُمطر على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥) :

فيتّضح من منطوق هذه الآيات أنَّ الله جلَّ جلاله إنما يهتمّ بالجميع على السَّواء ، حتى جعَلَ غيثه ينزل على الأبرار والفجار جميعاً ، وأن « شمس العدل » قد أشرقت

على الكل وأحيت الكل : أشرقت على الخروف الضال فهدته صراطاً مستقيماً ، كما أشرقت على الخراف المهتدية ، فزادتها هدىً ونوراً :

« إنّ ابن الانسان إنما جاء ليخلّص ما قد هلك ، وإنّ أباكم الذى فى السّماوات ، لا يشاء أن يَهلك أحد هؤلاء الصّغار ، الذين تشاهد ملائكتُهم وجهه فى كل حين » (متى ١٨ : ١٠ — ١٤)

***

قال داود النبىّ : « إله الآلهة تكلّم ودعا الأرض » (مزمور ٤٩ : ١) ، وإنما تكلم الله مع الناس فى القِدَم بلسان أنبيائه ، « وفى آخر الأيام (١) كلّمنا بابنه الذى جعله وارثاً لكل شىء ، والذى به خلق الدهور ، والذى هو

---

(١) أى عند ما كملت النبوات ، وتعاقبت الممالك الأربع التى كان لا بد أن تسبق مجيء المسيح : وهى المملكة الاشورية ، والفارسية ، واليونانية ، والرومانية (دانيال ٢ : ٢٩ — ٤٥ ، و ٧ : ٢ — ١٤) وليلاحظ أنّ دانيال قد نطق بهذه النبوءات ، عند قيام أولى هذه الممالك الأربع ، فى القرن السابع قبل المسيح .

ضياء مجده وصورة جوهره »[1]

ولم يدْعُ تعالى الى مدينة الأحياء الى الأبد — أورشليمَ السمائية — قُطراً من أقطار الأرض، بل دعا الأرض كلَّها، « من مشارق الشمس الى مغاربها » كما قال داود النبيّ (مزمور ٤٩ : ١)، وكما شهد به يوحنا الإنجيلي في رؤياه، حيث قال عن أبواب أورشليم السمائية الاثنى عشر : إنّ كلّ ثلاثة منها كانت مفتوحةً نحو جهةٍ من جهات الأرض الأربع (رؤيا ٢١ : ١٠ — ١٥)

ولمّا كانت رحمة الله وعدالته تقتضيان أن يَخْلُصَ جميع الناس — لأن المسيح لم يمت ليخلِّصَ منهم فريقاً ويُهلك الفريق الآخر — أعتق الله حريّتَهم التي غلّلها إبليس وجنوده، وأطلق إرادتهم التي قيّدها أركون الجحيم — إذ « الكلّ أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رومية ٣ : ٢٣) — وفتح لهم باب الفِرْدَوْس الذي أُوصِدَ في وجوههم بعد طرد أبويهم، وعلّمهم طريق الخلاص : فمن أبْلى البلاء الحسن

(١) راجع رسالة بولس الى العبرانيين ١ : ١

فى هذا السبيل ، وجدّ السعى فى هذا الطريق ، فقد حقّتْ مَثُوبَتُه ، ومن أقام بين قلبه وربّه حجاباً صفيقاً ، فقد حَقّت عقوبته : « والنفس التى تُخطىء هى التى تموت » (حزقيال ١٨ : ٤) ، « وكلّ امرىء بذنبه يُقْتَل » (تثنية الاشتراع ٢٤ : ١٦)

فالارادة جميعُها هى فى الله ، لكيما يَخْلُصَ كلّ إنسان ، والارادة المطلقة هى بأسرها فى الانسان ، لكيما يَخْلُصَ بنعمة الله : فنعمة الله تدعونا ، ونحن بإرادتنا الحرة نابيّ الدّعوة فنثاب ، أُسوةً بفيلبس الذى تَبِعَ المسيح بمجرد قوله له : « اتبعنى » (يوحنا ١ : ٤٣) ، فنال الكرامة الرسولية والأمجاد السّماوية : أو نردّها فنعاقب أسوةً بيهوذا ، — الذى بعد أن لبّى الدعوة وعُدّ بين تلاميذ يسوع « وصار له نصيبٌ فى الخدمة الرسولية » كما قال زميله بطرس (أعمال ١ : ١٧) — خان معلمه ، ثم ندم على خيانته ، واعترف بجريمته ، لكنه لم يلبث أَنْ قَنِطَ من رحمة الله ، فعَمَدَ الى الانتحار ، فدخلت اللعنة في عظامه كالزّيت

(مزمور ١٠٩ : ١٧) ، فكان ابن الهلاك (متى ٢٧ : ٣—٦ ويوحنا ١٧ : ١١ — ١٣)

وصفوة القول أنّ ارادة الله لا تُعطِّلُ إرادتنا ، فان شئنا شاء الله ، وهذا صريحٌ فى قوله تعالى بلسان إشَعْياء النبيّ : « إن شِئْتُمْ وسَمِعتم منى ، فانكم تأكلون خيْرات الأرض ، وإنْ أبيتم وتمرّدتم ، فالسّيف يأكلكم » (إشعياء ١ : ١٩ — ٢٠)

فَسَبْق علم الله بمصيرنا ، لا يمنع رغبته تعالى فى أن يخلصنا ، ولا يَحُول دون تحقيق رغبتنا فى أن نَخْلُص .

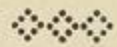

النعمة

الإلهية المجّانيـــة

إنّ الله يهْدينا الى ملكوته بنعمة مجّانية يمنحنا إيّاها ، كما كان يهدى بنى إسرائيل سوَاء السبيل ، بسيره أمامهم فى عمودٍ من غمامٍ نهاراً ، ومن نارٍ ليلاً (سفر الخروج ١٣ : ٢١ — ٢٢)

غير أنّ هذه النعمـة الالهية المجّانية ، إنّما هى بمنزلة جَناح واحدٍ يفتقر الى جناح آخر ، هو إرادُتنـــا : فاذا ما توفر لدينا هذانِ الجناحانِ ، طرنا بهما الى سماء السَّماوات ، وَصعِدنا الى مُستَقَرِّ الرَّحمَات : وهيهات أن تطير طيورٌ بجناح واحدٍ لها ، وهيهات أن تصفِّق اليد وحدها . . .

***

يقول الروح القدس بفم يشـــوع بن سيراخ [1] :

---

(١) ليشوع بن سيراخ سفر مقدس تنظمه كنيسة الله الارثوذكسية فى سلك الأسفار القانونية الثانية ، وقد استشهد به أثناسيوس الرسولى

« فى البدء خلق الله الإنسان ، وَتَرَكَهُ فى يد أفكاره ، وقد أضاف الى هذا وصاياه وأوامره ، فان شئتَ (أيها الإنسان) حفظتَ وصاياه ووفَّيت مَرضاته ، وقد عَرضَ عليك النّار والماء ، فَتُمدُّ يدك الى ما شئت : الحياةُ والموتُ أمام الإنسان ، فما أعْجبه ، يُعْطَى له » (ابن سيراخ ١٥ : ١٤ — ١٩)

يؤخذ من هذا النّص القدسى الصّريح ، أنه تعالى جعل الانسان يتصرّف فى شؤونه بمحض إرادته ، ومطلق حريته ، ولم يشأ أن تكون له على إرادته سلطةٌ مّا ، فالله تعالى

فى خطبته ضد الأريوسيين ٢ : ٧٩ وفى تفسيره المزمور الـ ١١٨ ، والقديس باسيليوس الكبير فى تفسيره المزمور الـ ١٤ ، والقديس غريغوريوس الناطق بالالهيات في خطبه ٤ : ١٢ ، ٧ : ١ ، ١٤ : ٣٠

وقد قرّظ الذهبي الفم الأسفار القانونية الثانية — وهي سفر طوبيا وسفر يهوديت وتتمة سفر إستير وسفر حكمة سليمان وسفر يشوع بن سيراخ وسفر باروخ وتتمة سفر دانيال وسفرا المكابيين — فى مميره على اليونانيين ، حيث قال : « كما أن كتاب أرميا النبي لا شك فيه ، كذلك كتاب باروخ لاريب فيه ، وليس لنا أن نرتاب في بقية الأسفار التى قبلتها الكنيسة ، بل علينا أن نجعل لها من المنزلة ما للكتب القانونية عينها »

قادرٌ على كل شيء بسلطانه ، والإنسان قادر على كل شيء بحريته ، مع فارق واحد هو أن الله يفعل كل ما يشاء دون أن تَرُدَّ مشيئته قُوَّةٌ ما ، والانسان لا يفعل ما لا يشاء ، ولا تُريدُهُ على ما لا يريد قوةٌ ما : فكما أن الإله لا يمكن أن لا يفعل ما يشاء ، كذلك الإنسان لا يمكن أن يفعل ما لا يشاء : وكما أن الانسان لا يقدر أن يَخْلُصَ بغير نعمة الله ، كذلك لا يريد الله أن يَخْلُصَ الانسان بغير إرادته المطلقة :

وهذا هو القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات [١] يقول : « لكيما نَخْلُص ، لا بدّ أن يكونَ الذى مِنّا (أى عَمَلُنا) منضماً الى الذى من الله » (أى الى نعمة الله) (راجع تفسيره الفصل التاسع من رسالة بولس الى أهل رومية)

---

(١) هو ذلك القديس العظيم الذى تألّق نجمه فى أفق البيعة ، فكان لها سراجاً في دياجي البدع ونبراساً فى فيافي الهرطقات : وفى القداس المنسوب اليه (القداس الغريغورى) الدليل القاطع على ما أوتي من سمو الكعب وعلو المكانة .

حلّق فى سماء اللاهوت ، فأدهش الكنيسة بما فاه به من آيات بينات ، فلقبته بالثيؤلوغوس (أى الناطق بالالهيات)

وقد زاد الذهبي الفم هذا التعليم الأرثوذكسي جلاءً حيث قال في تفسيره ذلك الفصل من تلك الرسالة عينها :

نقله المجمع القسطنطيني — وهو المسكوني الثاني المنعقد سنة ٣٨١ من مائة وخمسين أسقفاً يمثّل كل منهم كنيسةً رسوليةً — من أسقفية سازيما Sasima — بنازيانزا بالكبادوكية بآسيا الصغرى — الى كرسي بطريركية القسطنطينية ، بدلاً من مكسيموس الكلبي الذي خلعه ذلك المجمع لأعتباره سيامته غير قانونية .

وبهذه الصفة — أي بصفة كونه بطريركاً على القسطنطينية — ترأس ذلك المجمع المسكوني المقدس .

وهو في عدد بطاركة القسطنطينية ، الثاني والثلاثون بعد إندراوس الرسول (راجع جدول بطاركة القسطنطينية بصفحة ٤٣٠ من كتاب « الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة » المطبوع بأمر كيريوس كيرلس البطريرك الأورشليمي بمطبعة القبر المقدس بدير الروم الأرثوذكس سنة ١٨٦٧)

وقد عملت كنائس الشرق والغرب بهذا التقليد الكنسي ، فانتخبت البطريرك من بين الأساقفة ، كلما اقتضت الحال ذلك .

ولا يتناقض هذا مع القوانين القاضية باشتراك الشعب مع الاكليروس في انتخاب رئيس الكهنة « كمسرة الروح القدس » ،

« إنّ النعمة ، وإنْ كانت نعمة ، غير أنها لا تُخلِّصُ إلاّ الذى يُريدون الخلاص » .

لأن الاساقفة إنما ينتخبون البطريرك ، بصفة كونهم ممثلين لكراسيهم ونائبين عن إبرشياتهم .

***

أما « وضع الأيدى » على الاسقف الذى يُرفع من كرسيه الى كرسى البطريركية ، فلا يُقصد به الامنحهُ روح حكمة أكثر غزارة ، يمكّنه من القيام بمهام تلك الدرجة السامية ، بما يُرضي متوّجه الأعلى جل جلاله : فانما ترتفع النعمة بارتفاع الدرجة .

وقد جال المطران جراسيموس مسرة في هـذا الموضوع جولةً سدّت كل باب فى وجه المهاترين ، المتطفلين على موائد الكتّاب الكنسيين

فبعد أن قرر نيافته أن ليس فى مسح الملوك بزيت الميرون إعادة لذلك السر ، قال : « ولكيما يدرك القارىء هذا الأمر ، فلينظر فى سر الكهنوت : فمعلوم أنّ هـذا السر لا يعاد ، وأن له مع ذلك عدة درجات ، وكلما تقدم الانسان الى درجة عليا ، يتجدد وضع اليد عليه ، لينال موهبـة تلك الدرجة ، وكذلك الأمر فى مسح الملوك ... »

(راجع مؤلفه المعنون : « الأنوار فى الأسرار » صفحة ٨٤ ، ٨٥)

ولا يسعنى بعد ما قرره ذلك الحبر الأرثوذكسى العلّامة — الا أن ألفت نظر القراء الى ما ورد فى كتاب الرسامات القبطي ، عن وضع الأيدي — ليس فقط على ذوى الدرجات الثلاث الأصلية التى هي

فالمطرُ ينزل على الأرض ، ولـكنَّ الارض لا تأتى بنبات ، إلاَّ إذا فلّحتها يَدُ الزَّارع . والشمسُ تُشرقُ فى كلّ مكان ، ولـكن لا يراها إلا من فتح عينيه : فالإله

الشماسية والقسيسية والأسقفية — بل على ذوي الدرجات الفرعية التى هي الأرخيذياكونية ، والايغومانوسية ، والمطرانية ... (راجع الاخولوجيون الخطي ، بالمتحف القبطى ، والجزء الأول من الأفخولوجيون المطبوع برومية سنة ١٧٦١ صفحة ٣٧ ، ٤٣ ، ٧٩)

واذا كان الأمر كذلك ، فهل يُعقل أن يكون وضع اليد على أسقف رُفع الى الكرسى البطريركى — الذى تتضاعف فيه التبعة — محرّماً محظوراً ، بينما يكون وضع اليد على الشماس المرفوع الى رياسة الشماسية ، والقسيس المرفوع الى الايغومانوسية ، والأسقف المرفوع الى المطرانية ، محلّلاً مباحاً ؟ ؟ ! !

هذا هو الوضع الصحيح لمسألة (وضع الأيدى) : وكل ما أرجوه من شبابنا الناهض ، أن لا يُعير ما يقوله متهوسو الأقباط في هذا الباب أية أهمية ، وأن يضربوا بتخرصاتهم عرض الحائط ، وأن ينبذوهم نبذ النواة ، عملاً بقول فيلسوف المسيحية : « إقطعوا الخبيث من بينكم » (كورنثس الأولى ٥ : ١٣) . « إحذروا الكلاب ، أحذروا فعلة الشر » (فيلبي ٣ : ٢) . . . أما أنا فلا أفتأ أقول مع ذلك الرسول العظيم : « ليت الذين يُقلقونكم يُقطعون ! » (غلاطيه ٥ . ١٢)

يُعطينا النعمةَ والمعونةَ جميعاً ، ولكنْ يجبُ أن تسعى إرادةُ الإنسان مع نعمة الله ، وأن تَعْمَلَ بِمَعُونته تعالى .

***

شاء الله أن يُنَجّيَ نوحاً من الطُّوفان الذى أغرق الأرض كلّها ، ولكنهُ شاء أيضاً أن يكونَ الفُلكُ الذى به ينجو ، من صُنع يديه (سفر التكوين ٦ : ١٤ — ٢٢) .

شاء أن يطهّرَ نعمان الأرامىّ من برصٍ أصابه ، ولكنّه شاء أيضاً أن يمضى نعمانُ إلى الأُرْدُنّ فيغتسل (صموئيل الثانى ٥ : ١ — ١٤ ولوقا ٤ : ٢٧)

شاء أن يفتح عينى المولود أعمى ، ولكنه شاء أيضاً أن يذهب ذلك الأعمى الى بِركَة سُلوان ويغسل وَجهَهُ (انجيل يوحنا ٩ : ٦ — ٧)

يشاءُ الله أن يَخْلُصَ كلُّ إنسان ، ولكنه يشاءُ كذلك أن يُعْنَى كلُّ إنسانٍ بأمر خلاصه ، ويسعى وراءَ إحراز إكليل السعادة الأبدية سعياً متواصلاً .

***

أنَّ كُلاً منا يملِك ناموساً طبيعياً منقوشاً على

صفحات قلبه ، يَهْديه الى هُدى ، ويَرُدُّه عن ردى : وقد جَمَّلنا اللهُ بالعقل الذى به نُفَرِّق بين الخير والشرّ والنّور والظّلام ، ورفع عن أعناقنا نير العُبُودية الشَّيْطانية ، وأطلق لنا الحرية ، وأسبغ علينا نعمته المجّانية ، وقال لنا وهو عَزَّ من قائلٍ : « أمامكم نارٌ وَماء » . أمامكم جحيمٌ وسماء ، فاختاروا لنفسكم ما تَهْوَى ، ولكن اذكروا عند الاختيار « أنى أَجْمَعُ على الأشرار شُروراً ، وسِهامى أُفْرِغُها فِيهِمُ » (تثنية الاشتراع ٣٢ : ٢٣)

بقيـــــة الآيات

التى تتدرَّع بها المعارضـــة

« أليس للخزّاف سلطانٌ على الطين ، فيصنع من كُتلة واحدة إناءً للكرامة وإناءً آخر للهوان » ؟ (رومية ٩ : ٢١)

« يرحم من يشاءُ ويقَسّى من يشاء » (رومية ٩ : ١٨)

« أَحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو » (ملاخيا ١ : ٢ ورومية ٩ : ١٣)

لقد رأينا فى صدر هذا المبحث الجليل ، أن المعارضين يستندون فى معارضتهم الى قول الكتاب الإلهىّ ، عن يهوذا الإسخريوطىّ ، إنه ابن الهلاك الأبدىّ : وهذه آياتٌ كتابيةٌ أخرى يلجأون إليها ، لتأييد دعواهم وتعزيز وجهة نظرهم .

ولمّا كان بلوغ منهاج الصواب ضالّةَ الجميع المنشودة ، رأيت أن أتكلم على كلٍّ من هذه الآيات على حِدة ، عسانى أُوَفَّق الى إزالة ما عَلِق ببعض الأذهان من الأوهام ، وإطلاع شمس الحقيقة الأرثوذكسية من وراء الغمام :

***

الآية الاولى — : أليس للخزّاف سلطان على الطين ، فيصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وإناءً آخر للهوان ؟

تقول المعارضة تعليقاً على هذه الآية : — اذا كان الخالق قد جعل بعض خلائقه إناءً للهوان ، بما طَبَعَ فيهم من سوء النية وفساد الطَّوية ، فأية حريةٍ لهم فى فعل الخير والسعى فى سبيل الخلاص ؟ !

تقول المعارضة هذا ، وتنسى أن الله العظيم الأبدى ، إنما جَبَلَ الإنسانَ على غير فساد ، وخَلَقَهُ فى حالة الطُّهر والبرارة ، وأنه تعالى — عند ما اقتحم الموتُ العالم بحسد إبليس — هَدَمه بميلاد ابنه الوحيد فادينا الكريم الذى « من أجلنا صار لعنة — لأنه ملعونٌ كل من عُلِّق على خشبة — » (غلاطية ٣ : ١٣) ، والذى « بسببنا صار خطيئةً ، هو الذى لا يعرف الخطيئة » (كورنثس الثانية ٥ : ٢١) ، وهكذا أندكّ صرح الفساد ، وعاد الانسان مُطهَّراً مُبرَّراً .

فلم يَطبَعِ الإله الانسان على الشر والفساد ، بَلْ على الخير والصَّلاح ، ولمَّا كَبَا أنهضه من كبوته ، وأقاله من عَثرته : فإنْ عَرَف الله بسابق علمه ، أنّ ذلك الانسان يحملُ بين جنبيه نفساً طاهرةً ورُوحاً نقياً ، جعلهُ له « إناءً مختاراً » كشاول الذى لم يألُ جُهداً فى التَّنكيل بالمسيحيين (أعمال ٨ : ١ — ٤) تعصباً منه للناموس الموسوىّ ، الذى نبغ فيه على يد غمالائيل معلم ذلك الناموس وحُجَّتِه . . .

وَلِمَ جعل الله جلَّاد المسيحيين — شاول الذى سُمِّىَ فيما بعدُ بولس — « إناءً له مختاراً » ؟ ؟ !!

لأنه تعالى — وهو « فاحص القلوب والكُلى » (مزمور ٧ : ٩) وعالم السر والنَّجْوَى ، عرف بسابق علمه ، ما عليه ذلك الرَّجل من سلامة النِّيّة ، كما عرف أن غَيْرَته المضطرمة على دين آبائه وأجداده ، هى التى جعلت على عينيه غِشاوةً كثيفةً ، لم يَرَ معها ما فى شريعة موسى من نَقْصٍ ، ولا ما فى شريعة المسيح من إتمامٍ لذلك النَّقص (متى ٥ : ١٧) ، فاقتضى عدله الإلهى ، أن يُزيل عن عينيه تلك الغشاوة ، ويقتادَه الى طريق الخلاص بنعمته المجَّانية ، ويرفعه الى الدرجة الرسولية ، فالأخدار السَّمائية .

وإن عَرَف الله بسابق علمه إنساناً ساءت سريرته ، وخَبُثت طويَّته : جعله إناءً للرِّجْز مُعَدًّا للمهانة والهلاك ، كيهوذا التلميذ « اللص » (يوحنا ١٢ : ٦) الذى وجد الشَّيطانُ فى نفسه الخبيثة مَرْعىً خصيباً ، فدخل فيه ، فباع سيده بثلاثين من الفضة ، وسلمه الى أعدائه بقُبْلة

(لوقا ٢٢ : ٣ و٤٨ ومتى ٢٦ : ١٥ ويوحنا ١٣ : ٢٧) ، وهكذا سعى الى حتفه بظلفه ، فتردّى فى هاوية الهلاك ، فجُوزى جزاءً وفاقاً .

الآية الثانية — : « يرحم (الله) من يشاء ويقسى من يشاء »

نطق بولس الرسول بهذه الآية ، وكأني به تخيل معترضاً يعترضه بقوله : « إذنْ فلماذا يلوم ؟ ومن ذا الذى يقاوم مشيئته » ؟ (روميه ٩ : ١٩) فبادر إلى دفع ذلك الاعتراض فقال : « من أنت أيُّها الانسان الذى تُجاوب الله ؟! أَلعلَّ الجبلة تقول لجابلها لِمَ صنعتنى هكذا ؟! » (روميه ٩ : ٢٠)

وما قاله بولس الرسول بطريق الإيجاز ، سَبَق الله فنطق به على لسان إشعياء النبى بطريق الإطناب حيث قال : « ويلٌ لمن يخاصم جابلهُ وهو خزَفةٌ من خزف الأرض ! أيقول الطّينُ لجابله ماذا تصنع ؟ .... ويلٌ لمن يقول لأبٍ ماذا تَلِد ؟ ولأمرأةٍ ماذا تضَعين ؟ هكذا قال الربُّ قدوس إسرائيل وجابله : قد سألونى عمّا سيأتى ، ألعلكم تُوصوننى فى أمر بنىَّ ، وعمل يدىَّ » ؟ ! (إشعياء ٤٥ : ٩ — ١٣)

يُستخلص من هذا أنَّ نظر الانسان يختلف عن نظر الله : وهذا صريحٌ فى قوله تعالى لبنى البشر : « إنَّ أفكارى ليست كأفكاركم ، وطرقكم ليست كطرقى يقول الرب ، لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان الى هناك ، بل يُرويان الأرض ويجعلانها تُنشىء وتُنبت لتؤتى الزارع زرعاً والآكل طعاماً ، كذلك تكون كلمتى التى تخرج من فمى ، فإنها لا ترجع الىَّ فارغةً ، بل تعمل ما شئتُ ، وتنجح فى ما أرسلتها له » (اشعياء ٥٥ : ٨ — ١٢)

فاذا رحمَ الله كُرْنيليوس [١] قائد المائة ، ولطف بلص اليمين : فما ذلك إلا لأنه تعالى سَبَق فعلم بما يُكنُّهُ قلبهما من برٍّ وصلاح . واذا قسَّى قلب فِرْعَون ولصّ الشِّمال ، فما ذلك الا لأنه سبق فعلم بما بين ثنايا ضلوعهما من سوءٍ وشرّ

***

(١) كان كرنيليوس قائداً أمميّاً ، وكان محظوراً على رسل الختان أن يختلطوا بغير الخراف الضالة من بيت إسرائيل التي أُرسل رب المجد اليها (متى ١٥ : ٢٤) ، لكنّ صلاح هذا القائد وأهل بيته ، اقتضى

تجلّى أمام عيني الرب صلاح كرنيليوس الأممي وتقواه، وسُمِعت صلاته وذكرت صدقاته قدام الله (أعمال ١٠ : ٣١)

إباحة المحظور ... فقد أمر الله بطرس رسول الختان بتعميد ذلك القائد وذويه، ولمّا رآه يتردّدُ في تنفيذ ما به أُمر — بدعوى أن غير اليهود رجس، وأنّ الطهر وقف عليهم — قال له: « ما طهّره الله، لا تنجسه أنت » (أعمال ١٠ : ١٥). ومن ثم قام بتنفيذ أوامر الرب. فاختصمه زملاؤه الرسل ويهود أورشليم وحنقوا عليه، لتبشيره غير اليهود (الأمميين)، الذين قال الرب أنهم سيسمعون صوته تعالى من فم رسولهم بولس (يوحنا ١٠ : ١٦ وغلاطية ٢ : ١ — ٩).

فاضطُرّ بطرس أن يدافع عن نفسه بوقف مختصميه على تفاصيل رؤيا رآها بشأن تعميد ذلك القائد، وختم دفاعه بقوله: « الآن قد علمت أن الله لا يحابي الوجوه، وأن كل أمة تتّقيه وتعملُ البر، مقبولة عنده » (أعمال ١٠ : ٣٤ — ٣٥).

وإنما يدل هذا الحادث على أنّ الله إلهُ قلوب، وأن الحتم الالهيّ لا بدّ متحوّل بتحول هذه القلوب: كما يدُلّ على أنّ قيام بطرس رسول الختان بتعميد أهل بيت أمميّ، لم يحوّله الى رسول للأمم، لأنه فضلاً عن الصبغة الاستثنائية التي اصطبغ بها ذلك التعميد، فانه لم يقع الا داخل حدود اليهودية: وهذا هو أوسابيوس أبو التاريخ الكنسي يقرّر « أن بطرس كان — في كل بلد يمرّ به — يبشر اليهود المشتتين بين الأمم » (راجع الكتاب الثالث، الفصل الأول).

فبعث اليه بطرس رسول الختان ، بصفةٍ استثنائية ، فعمَّده هو وأهل بيته فغدَوا من وَرَثة الحياة الأبدية (١)

واخترقت عين الفادى صدر لص اليمين ، فرأت الندامة على سابق جرائمه تأكل قلبه أكلاً ، كما رأت الحزن يمزق فؤاده تمزيقاً — لما يقاسيه ربُّه من مُرِّ الآلام ، دون أن يقترف إثماً من الآثام التى اقترفها هو وزميله — فأثارت هذه الرؤية عطفه تعالى عليه فقال له : « اليوم تكون معى فى الفِردَوس » (لوقا ٢٣ : ٢٩ — ٤٣)

وعلى النقيض من ذلك فرعون ولصُّ الشمال ، فقد تجلّى أمام الرب شرُّهما المستطير ، وإصرارهما على ما اجترحا من مآثم وارتكبا من جرائم ، فقسَّى قلب فرعون (خروج ١٠ : ٢٠) ، لأنه تعالى كان يعلم ما يُضمره ذلك الطّاغية لشعبه المختار من خيانة وغدر ، بدليل أنَّ ذلك الماكر كان يَعْدل عن توبته إذا رفع الله ضرباتِه عن مصر — استجابةً لشفاعة عبديه موسى وهرون — ثم لا يلبث أن

---

(١) راجع الفصل العاشر من سفر أعمال الرسل

يعود إلى التنكيل ببنى إسرائيل ، والحيلولة دون ما كان يُريده لهم الله من رحيلٍ عن وادى النيل .

وكذلك قسَّى الله قلب لص الشمال ، لتجديفه على ربّه وإصراره على ذنبه .

فاذا تخلَّت المعونة الإلهية عن هذين الغادرين ، واذا فَقَدا سعادة الدارين ، فما ذلك إلا لأنهما أبيا أن يسمعا صوت الله ، الذى يقول لكل من جبلتهم يداه : « إنْ شئتم وسمعتم منى ، فانكم تأكلون خيرات الأرض ، وإن أبيتم وتمردتم ، فالسيف يأكلكم » (اشعياء ١ : ١٩ — ٢٠)

الآية الثالثة — : « أحببت يعقوب وأبغضت عيسو »

يقول المعارضون : إذا كان الله قد أبغضنا من قبل أن نولد كما أبغض عيسو — مع أنه هو ويعقوب ولدا إسحق عبدِه — فكيف نكون مطلق الحرية في عمل الصلاح وفى السعى فى سبيل الخلاص ؟ !

ولدفع هذا الاعتراض أقول : إنَّ فى هذه القضية أخطاءً ثلاثة تورَّط فيها إسحق أبو الآباء .

الخطأ الاول — : قيامُهُ — وقد كُفَّ بصره — بمنح بركة البكْرية ليعقوب بدلاً من منحها لبكره عيسو ، مخالفاً بذلك الناموس الطبيعى (تكوين ٢٧ : ١)

الخطأ الثانى — : بَيْعه البركة لابنه بأُكلةٍ ، بدلاً من منحه إيّاها مجّاناً (تكوين ٢٧ : ٢٢)

الخطأ الثالث : — انطلاء حيلة رفقة زوجتِه عليه : وسرعة إنخداعه من امرأة ، مع ما هو مفروضٌ فيه — كشيخ كبير — من أناةٍ وروِيّة ، وحكمةٍ أبوية (تكوين ٢٧ : ٦ — ٩)

ولكن من كان إسحق ؟ ألم يكن مجرّد انسان ؟ وهل من طريقٍ عند الناس لإعطاء البركات ومنح الكرامات ، فى أكثر الأحيان بل فى كل حين ـ لأنّ النادر لا يُحْكَمُ به شرعاً — غَيْرُ أُكلةٍ شهية تُشبع البطون ، وصُرّةٍ ذهبية تُعمى العيون ؟

الإنسان يخدع أخاه كما خدعت رفقة بعلها ، وينخدع كما انخدع إسحق من زوجته ، ولكن حاشا « لمن لم يوجد

فى فيه غِشّ » (إشعياء ٥٣ : ٩) ولم تَخفَ عليه خافيـة ، أن يَخْدَعَ أو يُخدَع .

الإنسانُ يحابى الوجوه ، « وليست عند الله مُحاباة » (أعمال ١٠ : ٣٤) .

قد يَحكُمُ الإنسانُ بالرِّشوة ، أمّا اللهُ تعالى ، فلا يحكم إلا بالعدل : لذلك كان بُعدُ أحكام النّاس عن أحكام الله ، بُعدَ السماوات عن الأرَضِين : فبطريقةٍ تخالف طُرُقَ النـاس ، يَسْبِقُ الله فَيَرْسُمُ — لأنه يقول : « ليست طُرُقُـكُم مثلَ طُرُقى » (اشعياء ٥٥ : ٨) ، — وبطريقةٍ أُخرى يمنح نعمتَـه ، وبطريقةٍ أُخرى يَهَبُ مجدَهُ ، وبطريقةٍ أخرى يُجرى انتخابه .

ولمّا لم تكن أفكار الله كأفكارنا (اشعياء ٥٥ : ٨) ، أَحبَّ يعقوب ، لأنه سَبَق فعلم بسجيّته الْمُرْضية له تعالى ، وأَبغَضَ عيسو ، لأنه سبحانه سَبَق فعلم بما هو عليه من فساد السجية ، وخُبث الطَّوية .

ومن هذا يتضح أن بركة البكرية التى منحها إسحق لابنه يعقوب بدلاً من عيسو ، إنما كانت بتدبير إلهى ، يعجز عن إدراكه العقل البشرى : لأنه « من يعقوب كان لا بد أن يشرق الكوكب الذى ينير كل إنسان آت الى العالم » (سفر العدد ٢٤ : ١٧ وإنجيل يوحنا ١ : ٩)

***

وخلاصة القول أن الله يعمل ما يشاء ، بما أن له السلطان على كل شىء ، ولكننا نعلم أن الله لا يعمل إلا ما يتمشى مع العدالة ويتفق مع الرحمة ، لانه عادل رحيم ، وإنما تتجلى عدالته ورحمته تعالى فيما يلى :

بينما كان يسوع صاعداً الى أورشليم ، مثل بين يديه اثنان من رسله ، هما يعقوب ويوحنا ابنا زبدى ، وبرفقتهما أمهما سالومى ، وبعد أن سجدوا له قالت الأم : امنح أيها السيد ولدى هذين — اذا ما استويت على عرش ملكك — أن يجلسا أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك ، بحيث يكون لهما التقدم فى الجلسة على سائر رسلك :

فاضطرب يسوعُ من هذا الطَّلب الجرىء، وقال : « إنَّ الجلوسَ عن يمينى أو يسارى ليس لى أن أُعطيَهُ الاّ للذين أُعِدَّ لهم » (متى ٢٠ : ٢٠ — ٢٣ ، ومرقس ١٠ : ٣٥ — ٤٠) :

فما هذا الذى يُسمِعُنا إيَّاهُ يسوعُ فى إنجيله الطاهر ؟ أليس هو الإلهَ العزيزَ القديرَ الذى يُقَدِّمُ فى الكرامة من يشاء ، والذى لا يَجْسُرُ أحدٌ أن يُقاوِمَ مشيئَتَهُ ؟

نعم إنَّ يعقوب ويوحنا — كرسولين — لم يكن لهما ما يميِّزُهما عن سائر الرسل ، غير أنهما كانا يَنعِمانِ بكرامة خاصَّة ، هى القرابة التى تَربطُهما برَبِّ المجد عن طريق أُمِّهما — لأنها كانت من قريبات السيدة العذراء — لكنَّ اللهَ الذى لا يُحابى الوجوه ، لا يَنظُرُ إلى قرابةٍ ولا الى نَسَب ، ولا يراعى صداقةً ولا وجاهة ، فلا غَروَ إنْ قال : ليس لى أن أجعلَ كرامة الجلوس فى ملكوتى ، عن يمينى أو عن يسارى ، إلاّ للذين أُعِدَّ لهم ذلك ، أى للذين

يستحقونه ، ولمن هم به جديرون : لأنى لا أطرد من مجدى أحداً كما اني لا أخص بمجدى أحداً .

فالله تعالى يفتح أبواب الملكوت على مصراعيها لجميع الذين جبلتهم يداه ، لأنه « يريد أن الجميع يخلصون ، والى كلمة الحق يقبلون » (تيموثاوس الأولى ٢ : ٤) ، ولكنه يجعل كرامة خاصة لمن هم لهذه الكرامة مستحقون ، ولذا يقول لنا — وكأنى به تعالى يرمى الى طمأنتنا على نوع إكليل المجد الذى ينالهُ مَنْ يمتازون منا فى الجهاد والجلاد — : « فى بيت أبي منازل كثيرة » (يوحنا ١٤ : ٢) .

فليس غريباً إذن أن تعجز سالومى عن استمالة يسوع الى تحقيق ما طلبته لولديها من امتياز فى الكرامة ، لأنه إله : « والله ليست لديه محاباة » : وليس عجيباً كذلك أن تخدع رفقة إسحق فينزل على إرادتها ، لأنه إنسان ، والإنسان عرضة للخطأ والخطل ، والغلط والزلل .

ضلال من يقول

بتقييد العزة الإلهيـــــة للارادة البشرية

اذا كان الله يدعونا الى حملِ صليبه واتّباعه ، وهو مقيّدٌ إرادتَنا لِسَبْق علمِه بمصيرنا ، فهو إنما يخدَعنا ويضلّلُ بنا : وحاشا للحق سبحانه أن يكون خادعاً مضلّلاً ، وَعزّ وَجهُ الله عن أن يُبَلّغَنا بلسان أنبيائه ورسله كذباً ومَيناً .

واذا كان الله يسبقُ فيعلم بمصيرنا ، خيراً كان أو شرّاً ، فليس لِسَبْقِ علمِه هذا من أثر فى ذلك المصير : فقد نُصابُ بمرضٍ ونحن نعلم أن الله أعلَمُ بما سيَئُولُ اليه هذا المرضُ من وفاة أو معافاة ، فهل يمنعُنا عِلْمُنا بِعِلْمِه هذا ، من استدعاء الطبيب ، واتخاذ كل الوسائل التى نرجو أن تكونَ مؤديةً الى الشفاء ؟

وهل إذا لزِمنا فِراشَنا مكتوفى الأيدى ، فى انتظار قُدُوم الشِّفاء ، أو وُقوع البلاء ، نُعَدُّ من العقلاء ؟

إنَّ سَبْقَ علم الله بما سيئولُ اليه أمرُنا بَعد مرضنا ، من حياةٍ أو موت ، لا ريبَ فيه : ولا ريبَ كذلك فى سَبق علمِهِ تعالى بما سَنُلاقيه بعد الموت من نعيمٍ أو جحيم : غير أن هذا لا يَحُولُ دُون استخدامِنا وسائلَ النَّجاة فى هذه الحياةِ الفانيـة ، ولا يَعُوقُنا عنِ اتّباع الطُّرق المؤدية الى الخلاص فى الحياة الخالدة .

***

إننا نظهرُ أمام سَبْق علم الله ، كما نظهر فى المِرْآة ، فإمّا أن نظهرَ مكتوبين بحروفٍ من نُور فى سِفر الحياة ، وإمّا أن نظهرَ مكتوبين بحروفٍ من نار فى سفر الهلاك : فالمرآةُ تتشكّلُ بصورتنا ، وسَبْقُ علم الله يتشكّلُ بإرادتنا :

فكما أنّ المرآةَ تُرينا الحسنَ والقبيح ، ولكنها لا تفعلُ هذا ولا ذاك ، كذلك سَبْقُ علم الله بمصير الصالحين والطّالحين لا يُؤثّرُ فى ما سينالون من ثوابٍ أو عقاب :

ولقد قَرَّرَ القديس غريغوريوس النِّيسى [١] هذه الحقيقة الأرثوذكسية صراحةً حيثُ قال : «إنَّ حُكمَ اللهِ العادل ، إنما يتشكل بنيّاتنا ، مُيَسِّراً لنا مِمَّالَنَا (أى من أعمالنا) ، أحوالاً ، تضارعُ أحوالَنا» (راجع مقالته الخامسة عن المكابيين [٢])

---

(١) نيس Nysse مدينة قديمة من مدن الكبّادوكية بآسيا الصغرى ، وإليها نُسب القديس غريغوريوس ، وعليها أقيم أسقفاً . امتاز بتعمقه فى فلسفة الكتاب المقدس ، وكان عُضواً عاملاً بالمجامع التى عُقدت فى القسطنطينية سنة ٣٨١ و سنة ٣٨٢ و سنة ٣٩٤ : وهو أخو القديس باسيليوس الكبير (صاحب القداس الباسيلى) وفيه نظم من المراثي ما أصبح مضرباً للأمثال فى التفوق والنبوغ

(٢) . أبلى المكابيون فى سبيل الله بلاءً حسناً . وللقديس غريغوريوس الثيؤلوغوس ميمر خاص بهم . وللذهبي الفم ميامرُ ثلاثة في مديحهم . والكنيسة اليونانية تحتفل بذكراهم في اليوم الأول من شهر آب

وقد نظمت كنيسة الله الأرثوذكسية السفرين المنسوبين اليهم فى سلك الأسفار القانونية الثانية . واستشهد بهما القديس هيلاريوس أسقف پواتييه المتوفى سنة ٣٦٧ فى تفسيره المزمور ال ١٣٤ .

وقال لوتيروس زعيم البروتستانتية عن السفر الأول منهما : « إنه جدير بأن يشغل مكاناً بين الأسفار القانونية » :

" Luther le jugeait digne de prendre place dans le canon "

(راجع دائرة المعارف البروتستانتية للعلوم الدينية المطبوعة فى باريس سنة ١٨٧٧ المجلد الأول صفحة ٤١٣)

الحتم الالهى

بالخلاص أو الهلاك الأبدى

وهل يتغير ؟ ؟

يقول المعارضون : اذا كان خلاص الإنسان أو هلاكه أمراً محتوماً ، فعلام تجشم الذهاب الى بيوت الله فى قيظ الصيف وقر الشتاء ؟ وعلام التقدم الى منبر التوبة والاشتراك فى العشاء الربانى ؟ وعلام الصوم والصلاة وما إليهما من الأعمال التقوية ، والفرائض الكنسية ؟

ولا جواب لى على اعتراض المعترضين ، الا طلبى اليهم مرة أخرى أن يتأملوا ذاتهم فى المرآة : لأن المرآة — إن كانوا أصحاء — أرتهم صورة لوجوههم ناضرة : واذا انتابهم سقم ، أرتهم سحنة دميمة : ثم اذا شفوا مما ألم

بهم ، عادت فأرتهم ما كانوا عليه من نضارة الصورة وجمال المنظر .

فكما تتغير الصورة فى الوجه ، تتغير الرؤية فى المرآة ، فإن المرآة تتكيف برؤيتنا ، وتتشكل بهيئتنا : وهكذا الأمر فى المؤمن ، فإن عاش عيشة صالحة ، حكم الله بخلاصه ، وإن تحول من صلاح الى فساد ، تحول حكم الله من خلاص الى هلاك ، ولكنه اذا ندم ندامة صادقة كندامة بطرس — لا ندامة كاذبة كندامة يهوذا — ، فإن دموعه تغسل ذنوبه ، وإن خلاصه يصبح أمراً محتوماً :

والكتاب الإلهى يؤيد هذه الحقيقة الأرثوذكسية تأييداً لا يقبل جدلاً :

رحّل حاكم اليهودية بولس الرسول ولوقا الإنجيلى وغيرهما من الأسرى الى إيطاليا على ظهر سفينة ، بحراسة قوة عسكرية يرأسها قائد مئة ، ليحاكموا أمام قيصر

برومية : وبينما كانت السفينةُ تَمْخُرُ عُبابَ البحر فى هدوءٍ وسكينة ، اذا بريحٍ جَنوبيّة تَهُبُّ هبوباً عنيفاً ، واذا بالموج يتلاطم تلاطماً مخيفاً انقطع معه كلُّ أملٍ فى النَّجاة (أعمال ٢٧ : ١٩)

غير أنَّ الله كان يشاءُ أن لا يُصيب بولسَ مكروهٌ ، لكيما يقفَ أمام نيرونَ الطَّاغية — بصفة كونِهِ هامةً لرسل الأمم — ويزُفَّ كلمة الإنجيل الى عاصمة مُلْكِهِ الأممية ، ويُدخِلَ فى دين المسيح أصحابَ الوظائف السَّنِيَّة ، ورجالَ السراى الملكية (فيلبى ٤ : ٢٢)

فأرسل اليه ملاكَهُ يقول : « لا تَخَفْ يا بولس ، فإنه يَجِبُ أن تقفَ أمام قيصر ، وها قد وَهَبَكَ الله جميعَ المسافرين مَعَك » (أعمال ٢٧ : ٢٤)

ولمّا علم الملاّحون بهذا الوعد الإلهىّ ، وَثِقُوا من نجاتِهِم الَّثِقَةَ كلَّها ، وأرادوا أن يغادروا السفينة ويَعبروا

فى القارب الى الأرض : غير أنَّ بولس عارض فى ذلك بقوله لقائد المائة وجنوده : « إنْ لم يَبْقَ هؤُلاء فى السفينة ، فإنكم لا تستطيعون النَّجاة » (أعمال ٢٧ : ٣١) :

ما هذا الذى تقوله يا بولس ؟ ألم يحتّم اللهُ نجاةَ جميع مَن فى السفينة ؟ فماذا عليهِمْ إن لَزِموها أو غادروها ، ما داموا واثقين من النجاة ؟

هذا ما ينصرف اليه فكرُنا معاشر بنى الإنسان : « لكنَّ أفكارَ الله غيرُ أفكارِنا » ، لأنَّ الله — وإن كان قد حتم أن يُنقذَ جميعَ مَن فى السفينة من هلاكٍ محقَّق — ، الاّ أنه تعالى شاء أن يتعاونَ الجميعُ على خلاصِهم ويهتموا به : فإن لم يلزموا السفينة ليؤدّيَ كلٌ ما عليه فيها من عمل ، تحولَ حَتْمُ النجاة الى حَتْمِ هلاك ، واذا بالجميع مُغْرَقُون . . .

***

ومن تصفح الفصل الثامن والثلاثين من نبوءةِ

إشَعْياء ، رأى فيه حادثاً آخر — بشأن تغيير الحتم الإلهى — لا يقلُّ عن سابقه وُضوحاً وَجلاءً :

مَرض حزقيّا الملك ، وكان موتُه أمراً محتوماً ، فقد أرسل الله إليه إشعياء النبى يقول : « أوصِ لأهل بيتك ، لأنك تموتُ ولن تعيش » (إشعياء ٣٨ : ١)

فكيف لاقى حزقيّا هذه النبوّة المُروِّعة ؟ حوَّل وجهَه الى الحائط — على ما جاء فى الكتاب المقدس — وصلّى الى الرب » (إشعياء ٣٨ : ٢)

ما هذا الذى تأتيه أيها الملكُ المنكودُ الحظ ؟ ألم يكن موتُك أمراً إلهياً محتوماً ؟ ألعلَّ أمرُ الله يتغير ويتبدّل ؟

نعم ، فقد رثى الله لدموع حزقيّا ، ونَقَضَ حكمَ الموت الذى أصدره عليه ، وشفاه من مرضِه ، ووهبه خمسَ عشرةَ سنةً كاملة (إشعياء ٣٨ : ٥ — ٦)

***

وما أتاه الله مع حزقيّا الملك ، يأتيه مع كلٍ منّا : فاذا

كان خلاصُ أحدنا محتوماً لحسن سيرته وصفاء سريرته ، ثم تحوّل من صلاحٍ الى فساد ، فإنّ خلاصه المحتوم ، لا يَلبَثُ أن يتحوّلَ الى هلاكٍ محتوم .

واذا كان هلاكُ أحدنا محتوماً ، لانغماسه فى المعاصى واعتصامِهِ بالمساوىء ، ثم رَجَعَ عن فجوره ، ونَدِم على شروره ، فإنّ هلاكَهُ المحتوم ، لا يلبثُ أن يتحولَ الى خلاصٍ محتوم :

قال الله لأرميا النبيّ : « قُم وانحدر الى بيت الخزّاف ، وهناك تسمعُ قولى : فنزل النبيُّ الى بيت الخزّاف ، فوجده يصنعُ إناءً ، ولم يَلبَثِ الإناءُ أن سقط من يده فانكسر ، فتناوله وأعاد صُنعَه : حينئذٍ قال الله لأرميا : أنتم فى يدى يا بَنِى إسرائيل ، كالطّين فى يد الخزّاف » (أرميا ١٨ : ٢ — ٦) .

ومعنى هذا القول الإلهى ، أنه كما أنّ الإناءَ الصّحيح سقط وانكسر ثم أعاد الخزّاف صُنعه ، كذلك الانسان :

فَانه يَسقُطُ فى الخطيئة ، ثم يَنهَضُ من سقطته بواسطة التَّوبة ، ويستعيدُ نعمةَ الله التى فَقَدَها بما جَنَته يداهُ من شرٍّ وإثم ، فيُصبح من أبناء النعيم ، بعد أن كاد الموتُ يَسُدُّ فاه فى أبواب الجحيم .

وقد كشفَ اللهُ هذه الحقيقةَ الأرثوذكسية لأرميا النبى بما يُوصِدُ أبوابَ المعارَضة فى وجوه المعارضين حيثُ قال : « إنى تارةً أتكلَّمُ على أُمَّةٍ وعلى مملكة ، لأقلعَ ، وأهدِمَ ، وأُهلِكَ : فان رَجَعت تلك الأمةُ عن شرّها الذى من أجله تكلمتُ عليها ، فانى أندم على الشرّ الذى فكرتُ فى صُنعِهِ بها . وطوراً أتكلَّمُ على أمةٍ وعلى مملكةٍ ، لأبنى ، وأغرِسَ : فان صَنَعَتِ الشرَّ فى عينى ، ولم تسمع لصوتى ، فانى أندمُ على الخير الذى قُلتُ إنى أصنَعُهُ بها » (أرميا ١٨ : ٧ — ١١) .

***

والآن — وقد ثبتَ لدينا ثبوتاً لا ريب فيه أنّ حتمَ الله لا بُدَّ متغيرٌ، اذا غيَّرَ الناسُ ما بأنفسِهم — فلنُبادِر إلى الاعتراف بزلاّتنا، والتكفير عن سيّئاتنا، حتى اذا ما وَقفنا أمامَ منبر القاضي العادل — الذي يتجرَّدُ من الرحمة في ذلك اليوم الرهيب — نَسمعُ صوتَهُ العَذبَ القائل: «تعالَوْا إليَّ يا مباركي أبي: رِثُوا الملكَ المعدَّ لكم منذ إنشاء العالم» (متى ٢٥ : ٣٤).

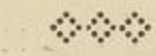

كلمة الختام

هذه كلمتى فى ذلك الموضوع الخطير ، أزفُّها الى آبائى الأجِلاَّء ، وإخوتى الكرماء ، مؤملاً أن يجدوا فيها ما يُرْوى الظمأ ويشْفى الغُلَّة ، مذكِّراً حضراتهم — اذا ما وجدوا فيها تقصيراً — أنّ بولس هامةَ رسل الأمم الذى صَعِد الى السماء الثالثة ، ورأى ما لم ترَهُ عين ، ولم تسمع به أُذُنٌ ، ولم يخطر على قلب بشر ، لم يُدرِك من الحكمة الإلهية ، إلاَّ أنها لا تُدرَك !!! حتى مَلَكَ الذُّهولُ عليه حواسَّهُ جميعاً ، فصرخ قائلاً : « يا لَعمقِ غنى الله وحكمتِه وعلمِه ، ما أبْعَدَ أحكامَهُ عن الإدراك ، وطُرُقَهُ عن الاستقصاء » (رومية ١١ : ٣٣)

تذييـــــل

أما وقد فَرَغْتُ من الكلمة التى دفعنى الى كتابتها حقوقٌ لكنيستى القبطية الأرثوذكسية قِبَلى ، فلا يسعنى إلاّ أن ألفت أنظارَ وُعّاظ كنيستنا الكرام ، الى وجوب طَرق أمثال هذه الموضوعات الهامّة ، تثقيفاً للعقول وتنويراً للأذهان : ووجوب ترك الموضوعات التى يحشُرُ بعضُهم نفسهُ فيها حشراً ، فلا يخرج من بَيْداء إلاّ ليدخلَ فى بيداء ، ولا يُفلت من صحراء إلا ليقعَ فى صحراء ، ولا يزال فى تخبط وتسكُّع كالنّاقة العشواء ، حتى تَضِجَّ من سخافاته الأرض والسّماء .

***

مثالُ هذه الفئة البابلية ، التى مُنِيَتْ بها الكنيسة القبطية ، بطرس عوض الله قسيس الكنيسة البطرسية : فلا يعتلى هذا الواعظ السّخيف ، منبر تلك الكنيسة

الأسيف ، الآ لينوّمَ العامّة مَلَلاً وسآمة ، ويُضحكَ الخاصة حُزناً وأسىً : « وشر البلية ما يُضحِكُ » . . !

ومن ذا الذى يتمالك نفسهُ من الضَّحك ، اذا رأى أمامه إنساناً : تارةً يُهمهم ، وطوراً يتمتم . آونةً ينطوى ، وحيناً ينفرد . مرّةً ينامُ نومةَ أصحاب الكهف ، وأخرى يصرخ كمن به مَس : وهو فى كل هذا يَتكلّفُ رَصَّ الألفاظ رَصاً ، وحشرَها حشراً ، قَبِل الذَّوق أو لم يقبل ، استصرخت الآيات التى يستشهد بها على ما بِهِ يهذي أو لم تستصرخ . . !

أَضف الى ذلك ، إغماض العينين ، وتدلّى الشَّفتين ، ورفع اليدين ، والفحص بالرّجلين : مع تورُّطٍ فى اللحن فاحش ، وتخبطٍ فى التعبير مَعيب . . !

***

دارت مناقشةٌ مُحتدِمَةُ الأُوار ، بين الكنيسة القبطية من جهة ، وبين غيرها من الكنائس المسيحية من جهةٍ أُخرى ، حَولَ قول بعضِها بالطَّبيعة والمشيئة فى

المسيح ، وقول البعض الآخر بالطَّبيعتين والمشيئتين : وقد أُنتهت هذه المناقشة — لِحُسْن الطَّالع — بتسليم الطَّرَفين المتناظرين — بعد الوقوف على ما يقصِدُهُ كلٌّ من الفريقين — بأنَّ الفرقَ بين التَّعبيرين ، إنَّما هو فى اللفظ دُونَ المعنى : لأنَّ كُلاً من هذه الكنائس ، يؤمنُ بأنَّ المسيحَ له المجد ، قد جَعلَ ناسُوتَهُ واحداً مَعَ لاهُوتِه ، بلاَ أختلاطٍ ولا أمتزاجٍ ولا تغيير : وأنَّ كُلاً منها يَجْهَرُ بأنَّ المسيحَ ذاق الموتَ بالجسد ، مُنَزِّهاً اللاّهوت عن الآلام ، على النَّقيض مِنَ البدعة الأُوطاخية ، (١) التى تَلعَنُها جميعُ الكنائس المسيحية ، ولا سيّما الكنيسة القبطية ، وعلى رأسِها بطريركُها البارُّ الأنبا ديوسقورُس البابا الإسكندرى الخامس والعشرون .

---

(١) اتخذت المدرسة اللاهوتية الاسكندرية (القبطية) لفظة ΥΠΟΣΤΑΣΙΣ (إيبوستسيس) اليونانية بمعنى أقنوم أو ذات ، فقالت بأن الكلمة المتجسد إيبوستاسيس واحد ، أى إن الاله الذي صار انساناً إنما هو أقنوم واحد ، فكان قولها أرثوذكسياً قويماً

وقد وَضَّحَ ذلك كُلَّه سيادةُ المطران جراسيموس مَسَرَّة — المطران الحالىّ للروم الأرثوذكس ببيروت —

واتخذت المدرسة اللاهوتية الأنطاكية هذه اللفظة — لفظة إيبوستسيس — بمعنى طبيعة فقالت بأن فى المسيح طبيعتين (ناسوتية ولاهوتية) متحدتين ، أى صائرتين واحداً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير كالزَّيت والماء فى القنديل : فكان قولها هي الأخرى أرثوذكسياً لا عوج فيه ولا غبارعليه ، بدليل ترديد كنيستنا له فى الذبيحة الالهية حيث تقول مخاطبةً الآب السماوى : « نؤمن ونعترف .. أنَّ هذا هو الجسد المحيي الذى أخذه ابنك الوحيد ... من سيدتنا والدة الاله العذراء القديسة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير

فما قالت به المدرستان يتفق معنى وإن اختلف مبنى : غير أنه يتعارض كلَّ التعارض مع بدعة أو طاخي (أو أوطيخا أو إفتيشس) الأرشيمندريت القسطنطينى ، الذى قال بأن ناسوت المسيح اندثر باتحاده بلاهوته ، فأوقع الآلام على إلاله والعياذ بالله !

كما يتناقض كل التناقض مع بدعة نسطوريوس البطريرك القسطنطينى الـ ٣٨ القائل بأقنومين فى الكلمة الصائر جسداً ، فابن الله على زعمه هو غير المسيح ، والعذراء على زعمه لم تلد ابن الله بل ولدت المسيح ، فهى عنده أمّ المسيح لا أمّ الله !!! وبهذا استحق مع زميله أوطاخي لعنة الكنائس جميعاً

بكتابه المعنْون : « تاريخ الانشقاق » ، فى جدال طويل دار بينه وبين المرحوم الإيغومانوس فلتاءوس رئيس الكاتدرائية القبطية ، بما لا يَدَعُ قَوْلاً لقائل (راجع الجزء الأول من ذلك التاريخ ، من صفحة ٢٣٣ الى صفحة ٢٦٢ ، والجَدْلة التى خُتِمَ بها ذلك الجزء)

غيرَ أنَّ بطرس عوض الله — وما أدراك ما بطرس عوض الله ! — رأى أنه من الخطَل تقريبُ الشُّقَّة بين كنائس المسيح المنبثَّة فى المسكونة مِنْ أقصاها الى أقصاها ، وأنَّ الدّين كلَّ الدين إنّما هو فى تعميق هُوَّة الخُلف بينها . . ! فلم يتورَّع أن يقولَ من فوق مِنبر الكنيسة البطرسية عن أبناء تلك الكنائس المسيحية ، : « إنهم كُفّار ، وإنَّ آخرَتَهم جَهنَّمُ النّار ! ! ! »

والله يَعْلَمُ وملائكتُهُ تَشهَد ، أنَّ هذا البائس لأعْجَزُ من أن يَثبُتَ فى الجدَل أمام « قَندَلَفْت » مِن قَدالِف هذه الكنائس جميعاً . . .

ولو عَلِمَ هذا الواعِظُ التَّعِس ، أنَّ الكنائس الأرثوذكسية عامَّة ، والكنيسة القبطية خاصّة ، لا تفتأ تُرَدِّدُ فى قداساتها قول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات : « فَلينقضِ انشِقَاقُ البِيعة » ، لَكَفَّ عن تصديع رءوس البقية الباقية من شعب الكنيسة البطرسية الحزينة ، بتُرَّهاتٍ وسخافات ، هى عنده الآياتُ البيّنات !

***

قال يوحنا الإنجيلىّ فى سفر الرؤيا ما خُلاصَتُه : أنَّه رأى امرأةً حُبلى تَصرُخُ متمخضةً متوجعةً لتَلِد ، وأن تنّيناً عظيماً وقف أمامَها ليبتلعَ نَسْلَها متى وَلَدَتْهُ ، وأنّ تلك المرأةَ وَضَعَتِ ابناً ذَكَراً عتيداً أن يرعى الشعوبَ بعَصاً من حديد ، وأنَّ حرباً قامت بين ميخائيل وملائكته ، والتّنين وملائكته ، انتهت بطرح ذلك التّنين وجنودِهِ الى الأرض : مِمَّا أَغْضَبَ ذلك الوحشَ على المرأةِ التى وَلَدَتْ الابن الذَّكَرَ ، وَدَفَعَهُ الى محاربة باقى نَسلِها ، الذين

يحفظون وصايا الله ، والذين عندهم شهادة يسوعَ المسيح : وقد دُعِى ذلك التنينُ العظيمُ الحيةَ القديمة ، والشيطانَ الذى يُضِلُّ العالم بأسره (راجع الفصل الثاني عشر من سفر الرؤيا)

هذه خُلاصَةُ ما قالَهُ القديسُ يُوحنَّا الحبيب فى الفصل الثانى عشر من سفر رؤياه

ولا أظُنُّ إلاّ أنَّ جميع المسيحيين يتَّفِقون على أنّ المرأة — المقصودة بالذّات فى هذا الفصل من ذلك السِّفر الطَّاهر — هى السيدةُ العذراء : كما يتَّفِقون على أنّ ابنها الذَّكَرَ الذى وَلَدَتهُ ، والذى عوَّل التنينُ على الانتقام من بقيّة نسلها عند ما عَجَزَ عن ابتلاعه ، إنما هو الربُّ يسوع المسيح « العتيدُ أن يرعى الشعوبَ بعصاً من حديد » : كما يتَّفِقون على أنَّ ذلك التنين العظيم ، إنما هو « الحية القديمة » التى أسقطت الأبوين الأوَّلين من جَنَّة عدن ، أو قُلْ « هو الشيطانُ الذى يُضِلُّ العالم بأسره » : كما

يتفقون على أن الحرب التى اضطرمت نيرانها بين ميخائيل وملائكته والتنين وملائكته ، وانتهت بإيصاد مساكن النور فى وجه ذلك التنين اللعين وأعوانه ، إنما كانت لابتلاع نسل المرأة ، الذى بميلاده ، أفلت الأرضيون من براثن ذلك الطاغية وجنوده الجهنميين .

ولو رجعنا الى قوله تعالى للحية – التى ميزها يوحنا بصفة القدم – : « وأجعل عداوة بينك وبين المرأة (العذراء) ، وبينك وبين نسلها (يسوع) ، فهو يسحق رأسك وأنت ترصدين عقبه » (تكوين ٣ : ١٥) ، لثبت لدينا ثبوت الشمس فى رائعة النهار ، أن ما جاء فى سفر الرؤيا ، لم يكن الا تفسيراً لذلك القول الإلهى الكريم [١]

---

(١) هناك رأى يقول بأن المرأة هى رمز الى الكنيسة ، وبأن التنين أو الوحش ذا الرءوس السبعة هو رمز الى القياصرة الذين اضطهدوها فى القرون الثلاثة الأولى ، وعلى رأسهم نيرون وديوقلديانوس .

غير أن اجتهادَ بطرس عوض الله — وما أدراكَ ما اجتهاد بطرس عوض الله ! — أبى الاّ أن يُرِيَهُ فى ذاك التنين الغادر وذلك الوحش الكاسر ، محمداً صاحبَ الشريعة الإسلامية ! ! ! وسُرعان ما استأسد الهرّ ، فصال وَجَال ، وطَلَبَ الطعن والنّزال . . !

وما زال يُنَادِى بالويل والثُبُور ، وعظائم الأمور — فى ضجيج وعجيج ، وَلَجَبٍ وَصَخَب ، وتهيجٍ وتشنج — ، حتى تصبَّب عرقاً وأُرتج عليه ، والكلُّ من حوله باسمٌ ، يندب فهمَهُ السَّقيم ، ويرثى لمخه المريض . . !

ومن غريب أمر هذا القسيس — الذى سيخرج من نسله المبارك المسيح الدّجّال — أنه يعرّض بمحمد والمحمديين بلسانٍ طويل ، بين شعبٍ أكثر منه مسيحيةً ! بينما اذا غلطت الدّارُ البطريركية وانتدبته لإقناع بعض الأقباط الذين يُريدونَ إشهار اسلامِهم بالعُدُول عمّا ينْتَوُون ، إنقطع لسانُهُ الطويل ، وهرول نحو باب « محافِظة العاصمة »

مجرّراً ذيلَ الخيبة والفشل ، ولسانُ حاله يقول : « تَرانى فى الهزيمة كالغَزَالِ » . . !

***

والويلُ ثُمَّ الويل لشعب الكنيسة البطرسية اذا اعتلى بطرُسها مِنبرَها ! لأنَّ (قدس أبونا) ينسى روحه فوقه ، ويأخذُ فى الإرغاد والإزباد ، والتَّأتأة والفأفأة ، حَتَّى يُضطرَّ مُعظمُ المصلّين الى الوقوف خارجَ الكنيسة ، فى عيدى الميلاد والغطاس ، غيرَ عابئين ببرد كيهك وطُوبه القارس ، ولسانُ حالهم يقول : « جَهَنَّمُ الطّبيعة ولا جَنَّة بطرس عوض الله ! » ويظَلّون تحت ظِلّ السَّماء ، فى قُرّ الشِّتاء ، حَتَّى تَزُولَ الغُمَّة ، ويأتي اللهُ بالفَرَج . . .

***

ضَجَّ شَعْبُ الكنيسة البطرسية يوماً من تَكرار هذا القِسّيس للغوِ (١) يَرَاهُ هُوَ وَعظاً ! ولاحَظت ذلك

---

(١) اللغو في اللغة : الكلام الفارغ

حضرةُ السَّيِّدة الفاضلة قرينةُ صاحب العزَّة يوسف بك غالى ، نجل المرحوم الخالد الذكر بطرس باشا غالى ، وكريمة المرحوم المبرور ميخائيل بك شارويم ، فتصدَّت له بكلمة مُسكتة أنزلته عن المنبر يتعثَّر في ذُيول الخجل والوجل ، وبذلك هدَّأت ثائرة الشَّعب الغاضب ... غير أنَّها أثارت غضبَ زوجة القسيس عليها ! لأنَّها — على ما تقوله تلك الزَّوجة — (إتعرَّضت لَبُونا) وقت نزول الوحى عليه !!! فانطلق لسانُها فى وليَّة نعمتها ، بما أملاه عليها أدبُها . . .

وكان ذلك على مسمعٍ من حضرة الفاضل عبده افندى فانوس الموظَّف بحكمدارية العاصمة ، فهاله الأمر — وهو الرَّجل العسكرى — فأسمع تلك المرأة الكافرة بالنِّعمة ، من عبارات التَّأنيب والتَّعنيف ، ما يتكافأ مع تطاولها على من أشبعوا زوجها بعد جُوع ، وأنهضوه بعد هُجُوع . . .

وقصارى القول فى هذا الباب ، أنّ ترك الحبل على الغارب لفئة من الغباء بمكان ، ليس من الصواب : وأخشى ما أخشاه — وقد توهّم بعضُ مأفونى كهنة الأقباط أنّ المنابر قد أقيمت فى الكنائس للتعريض بالناس ، لا ليسمع الشعب من فوقها شريعة ربّ الجنود (ملاخيا ٢ : ٧) — أن يأتى اليومُ الذى يُضطرّ فيه جمهورُ المصلّين الى إسكات مَنْ يتصدّى لوعظهم وهو أولى بوعظ نفسه ، وإنزاله عن منبر الخطابة عنوةً اذا اقتضت ذلك صفاقةُ وجهه ، والأخذ بأقحاف رأسه والقذف به خارجَ الكنيسة ، صوْناً لقداستها وإبقاءً على كرامتها : لأنّ بيوتَ الله ، إنما هى بيوتُ صلاة ، لا مغاورُ لصوص سارقين (متى ٢١ : ١٢) ، ولا كُهوفُ فريسيين مُرائين ، يظهرون للناس أبراراً ، وهم مملوءون من الداخل رياء وإثماً ، كالقبور المكلّسة التى تتيه من الخارج جمالاً وازدهاراً ، وهى تضمّ بين جوانبها

رِجساً وعَظماً (متى ٢٣ : ٢٧ — ٢٩)، ولأنَّ ربَّ المجد يقول ما معناهُ إنَّ الكاهن إنْ كان ذُبابًا يُفسد بدلاً من أن يكونَ مِلحاً يُصلح ، فلا يَصلُحُ الاّ لأنْ يُطرحَ على المزابل ويُداس بالأرجل (متى ٥ : ١٣ ولوقا ١٤ : ٣٤)

فعسى أن يتنبهَ أُولُو الشأن لهذا الخطر المحدّق ، فيضعوا حداً لهذهِ الفوضى : وَمن بَصَّرَ فما قَصَّرَ ؟

فرنسيس العنز
أرخيذياكن الكنيسة البطرسية

فهرس النشرة

صفحة

٣ كلمة الافتتاح

٥ رأس الموضوع

١٦ النعمة الالهية المجّانية

٢٣ بقية الآيات التى تتدرع بها المعارضة

٣٧ ضلال من يقول بتقييد العزة الالهية للإرادة البشرية

٤٠ الحتم الالهى بالخلاص أو الهلاك الأبدى : وهل يتغير ؟

٤٨ كلمة الختام

٤٩ تذييل فى الوعّاظ البابليين

فهرس الحواشى

صفحة

٦ ترجمة الذهبي الفم

٨ ، ٩ ، ١٠ أعمدة الكنيسة وهامتا الرسل

١٢ آخر الأيام أو ملءُ الزمان

١٦ ، ١٧ الأسفار القانونية الثانية

١٨، ١٩، ٢٠، ٢١ ترجمة غريغوريوس الناطق بالالهيات

ونقل الأسقف من كرسيه الى الكرسى البطريركي

وإعادة وضع اليد عليه

٢٨ تعميد كرنيليوس

٢٩ ترجمة غريغوريوس النيسي ، وشيء عن المكابيين

وسفريهم .

٥١ ، ٥٢ الطبيعة والطبيعتان

٥٦ المرأة والتنين المذكوران فى سفر الرؤيا

التحريف المطبعى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	٥	عند حدً	عند حدّ
٩	٥	بهامتى الرسول	بهامتى الرّسُل
١٩	٧	لأعتباره	لاعتباره
٢٠	٢	الذى يريدون	الذين يريدون
٢٧	١٤	ولأمرأةٍ	ولامراةٍ

BT
810
.I87

JAN 4 1973

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU60522712
BT810 .I87
Sabq ilm Allah bi-al

BT-810-I87